

نشریه ادبیات پایداری

دانشکده ادبیات و علوم انسانی

دانشگاه شهید باهنر کرمان

سال دوم، شماره سوم، پاییز ۱۳۸۹

سال دوم، شماره چهارم، بهار ۱۳۹۰

جلوه‌های ادبیات پایداری در شعر جوزف الهاشم* (علمی- پژوهشی)

دکتر تورج زینی‌وند

دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه رازی کرمانشاه

چکیده

جوزف الهاشم، یکی از شاعران برجسته مسیحی لبنان در روزگار ما می‌باشد که در ژرفای شعر متعهد و مقاومش، پیوندی از اندیشه‌های مسیحی و ارزش‌های دین اسلام ارائه می‌دهد. این شاعر توانمند توانسته است، دوستی و ستایش اهل بیت (ع) را با روح پایداری و پایداری مردم فلسطین و لبنان، پیوند دهد. وی در اندیشه اساسی شعرش، بر آن است تا با فراخوانی شخصیت‌های دینی- تاریخی تشیع و نکوهش تسلیم و سازش در برابر رژیم صهیونیستی، اراده ملت‌های اسلامی را علیه اشغالگران برانگیزاند و روح امید و میهن دوستی را در میان ایشان بدمد. بیشتر اندیشه‌هایی که شاعر در چکامه‌هایش، مطرح می‌کند، برگرفته از سیره اهل بیت (ع) است. چنین مضمون‌هایی از سوی یک شاعر مسیحی، ارزشمند و ستودنی است.

محورهای اساسی این پژوهش، عبارتند از:

(۱) پیشگفتاری درباره کلیات پژوهش و معرفی جایگاه شاعر و اشاره‌ای گذرا به برخی از شاعران مسیحی معاصر که توانسته‌اند ادبیات متعهد شیعی را با ادبیات پایداری پیوند دهند.

(۲) پردازش و تحلیل موضوع از دو زاویه: الف) بررسی و تحلیل پیوندهای ادبیات شیعه و پایداری در شعر شاعر. ب) تحلیل تعهد ملی و وطن دوستی شاعر که همراه با بیان افتخارهای تاریخی گذشته لبنان و فلسطین و نکوهش و محکوم نمودن سکوت و سازش در برابر اشغالگران می‌باشد. واقعیت چهره این اشغالگران در شعر جوزف الهاشم، چیزی جز دروغ، تجاوز، فساد و نیرنگ نیست.

واژگان کلیدی

جوزف الهاشم، ادبیات پایداری، علویات، اهل بیت (ع)، شعر شیعی، میراث دینی و تاریخی..

* تاریخ دریافت مقاله: ۱۳۸۹/۱۲/۱۱ تاریخ پذیرش نهایی مقاله: ۱۳۹۰/۱۰/۱۷

نشانی پست الکترونیک نویسنده: T_zinivand56@yahoo.com

مظاهر أدب المقاومة فى شعر جوزف الهاشم

الدكتور تورج زيني وند

الأستاذ المشارك بجامعة رازى

الملخص

الشاعر المسيحيّ اللبنانيّ، جوزف الهاشم، يحمل فى صميم شعره الملتزم و المقاوم، روحاً مسيحيّة تلتقى بالقيم الإسلامية و الدّينية فى عمق مسيرة التّاريخ و متطلّبات عصرنا الرّاهن؛ لقد امتزج شعره الملتزم بحبّ آل البيت(ع)، بروح المقاومة و البطولة و الأمل و الرّجاء، و قد يتبيّن لنا أنّ الفكرة المسيطرة على شعره هى أنّ تستنهض همم الشّعوب الإسلامية ضدّ ارادة المحتلّين الإسرائيليين باستدعاء الشّخصيّات الدّينية - التّاريخيّة الشّيعيّة، ثمّ بالتّنديد الخنوع و المساومة أمام قضيّة الاحتلال. و الملاحظة الهامّة التّى لا بدّ من تسجيلها هنا هى أنّ شعره يغرس فى نفوس المخاطب الخبير، أفكاراً بناءة استقاها الشّاعر من معين مناهج أهل البيت(ع) العذب. و ما أعظم تلك حين تخرج من الشّاعر المسيحيّ الذى يجمع بين الشعر الشّيعيّ و بين أدب المقاومة.

و أمّا هذا المقال فإنّه يسلّط الأضواء على المواضيع التّاليّة؛

أوّلهما: مقدّمة فى كليّات البحث ثمّ التعريف بمكانة الشّاعر، جوزف الهاشم، و إشارة عابرة إلى بعض معاصريه فى الأدب الملتزم الشّيعيّ و أدب المقاومة. و ثانيهما: عرض الموضوع و تحليله من جهتين: أ) المزج بين الأدب الملتزم بحبّ أهل البيت(ع) و أدب المقاومة فى شعر جوزف الهاشم. ب) حبّ الشّاعر للشّعب العربىّ و الوطن اللّبنانىّ و الماضى المجيد، ثمّ رفض الخنوع و الصّمت و الرّضوخ أمام قضية الاحتلال و المحتلّين الذين يصفهم الشّاعر بالكذب و الاعتداء و الفساد و المكر.

الكلمات الأصليّة: جوزف الهاشم، أدب المقاومة، العلويات، أهل البيت(ع)، الشعر الشّيعيّ، التراث الدّينى و التّاريخى.

المقدمة

كلّ من يتصفّح دواوين الشّعر العربيّ - قديماً كان أو جديداً - و يطيل النّظر يرى فيها الاتّجاهات الشّعريّة المتعدّدة. و من جملة هذه الاتّجاهات الشّعريّة التي يعود تاريخها إلى ما قبل بزوغ فجر الإسلام، هي النزعة النّصرانية أو المسيحية التي تكاد أن تكون نزعة مستقلّة في الأدب العربيّ.

و لا أريد هاهنا أن أتوغّل في أعماق تاريخ الأدب و أستفيض في ذكر الشّعراء النّصرانية و الخصائص الشّعريّة لهم، بل أريد أن أضيف شيئاً جديداً إلى بحوث الدارسين الذين بحثوا عن الأدب العربيّ لدى المسيحيين، و هو لون المقاومة في الشّعريّ المعاصر. فهذا اللون يشبه بلون المقاومة عند المسلمين حيث راح يستنهض همم الشّعوب العربيّة و الإسلاميّة ضدّ إرادة المستبدّين و الطّغاة صارخاً بوجه الظّالمين و الغاصبين داعياً أبناء الأمتة الإسلاميّة إلى نبذ طوق المذلّة عن أعناق الكرامة و العزّة. و من معالم هذا الأدب الملتزم، شاعرنا جوزف الهاشم، الشّاعر المسيحيّ المعاصر، بلبنان.

ولد شاعرنا، جوزف الهاشم (الوزير السّابق) سنة ١٩٣٥م، في قرية «برجين» (منطقة الشوف) بلبنان في أسرة يقال إنّها تنتمي إلى دوحه الإسلام و الشيعة من حيث العقيدة و الثقافة. و بعد أن أتمّ دراساته الابتدائية انضمّ إلى مدرسة «الحكمة» و تابع فيها دراساته الثّانوية، ثمّ اختار فرع اللّغة العربيّة و آدابها بجامعة «سن ژوزف» و لما تخرّج منها أخذ يدرّس في المدارس و المراكز العلميّة و يعمل في الجرائد و الصّحف و انضمّ إلى حزب «الكتائب» فدشن قسم «صوت اللّبنان» من إذاعة اللّبنان و عكف على النّشاطات السّياسية و الثقافيّة و شغل بعض المناصب الحكوميّة، مثل؛ وزارة الاقتصاد، وزارة البرق و البريد، وزارة الشّؤون الاجتماعيّة و العلاقات و عديدة من المناصب السّياسية. و الجدير بالذّكر أنّه سافر إلى السّوريا و إيران و شارك في عديد من المؤتمرات الثقافيّة و الأدبيّة منشداً قصائد رائعة في مديح آل البيت (عليهم السّلام) و ملاحم لجنود المقاومة بجنوب لبنان و فلسطين. و الّذي تجدر الإشارة إليه أن هناك شاعراً لبنانيّاً آخر بهذا الاسم نفسه (جوزيف

الهاشم: ١٩٢٥) ملقباً «بزغلول الدامور» و هو لا يعنيننا فى هذا المقال. أشهر آثاره؛

١. الفارابى؛ دراسة و نصوص (١٩٦٨م).

٢. العلويات؛ مجموعة شعرية تضمّ مديح الإمام المرتضى و سيّد الشهداء و عقيلة بنى هاشم (عليهم السّلام) و كذلك فى بطولة المقاومة (١٩٩٩م)؛ الإنسان الكونى أو إمام لكل زمان: ١٩٩٨م / القرآن البشرى (ذكرى ولادة الإمام على بن أبى طالب، دمشق، مكتبة الأسد الوطنية)؛ ١٩٩٦م / ضوء من الضوء (ذكر ولادة الإمام على(ع)؛ مؤتمر المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، مكتبة الأسد: ٢٢ كانون الأوّل)؛ ١٩٩٣م / ذكر أهل البيت (مشعل الثورتين، بين زينب و الحسين؛ مقام السيّدة زينب، دمشق، ٢٨ كانون الأوّل: ١٩٩٦م / عرس قانا (المهرجان الوطنى العربى فى اليوم العالمى للتضامن مع الجنوب؛ المعهد الفنى الإسلامى، بيروت، ١٤ آذار: ١٩٩٧م).

٣. صوت لبنان فى حرب السنين؛ تحليل و تعليق (١٩٧٧م).

٤. ابوالطيب المتنبى؛ شاعر العنقوان و الطموح (١٩٨٢م).

والذى تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّى لم أقف على كاتب و باحث تعرّض لشعر جوزف الهاشم بهذا الشكل الذى درسه فى هذا المقال الذى بين أيديكم. إلا أنّ هناك مؤلّف «الإمام على(ع) فى الفكر المسيحى المعاصر» قد أشار إشارة عابرة إلى بعض أبياته فى مديح الإمام المرتضى(ع) مع التحليل و التفسير (أنظر: هيفاء، ١٤٢٦: ١٧٤-١٧٥).

و أمّا السّؤال الأساسى الذى يبيحث عنه المقال فهو؛ ما هى معالم أدب المقاومة فى شعر جوزف الهاشم؟ و الفرض الأساسى لهذا المسألة هو أنّه لقد استطاع أن يمزج بين أدب المقاومة و الأدب الملتزم بحبّ آل البيت(ع) فى أسلوب رمزى رصين يمتاز باستدعاء التراث الدّينى و التاريخى. و هذا ما سنبحث عنه فى المقال.

١. عرض الموضوع

١-١- استدعاء التراث الدّينى فى ضوء المزج بين الأدب الملتزم بحبّ أهل

البيت (عليهم السّلام) و أدب المقاومة

إنّ الأدب الملتزم بحبّ آل الرسول (عليهم السلام) ليس مختصاً بالمسلمين فقط، بل قد يكون خالقه غير مسلم أيضاً؛ لأنّ حبّ أهل البيت (عليهم السلام) هو حبّ الإيمان و الكمال و القيم الإنسانية السامية، و المسلمون و غير المسلمين مشتركون فى هذا الحبّ (أنظر: سياحى، ١٣٨٢: ٣١).

و خير مثال للأدب المنطبع بالطابع الشيعى، هو مانجده لدى المسيحيين؛

للوامق النّصرانى غديرية يقول فى مطلعها:

أليس بِحُمِّ قَدْ أَقَامَ مُحَمَّدٌ عَلِيّاً بِاحْضَارِ الْمَلَأِ فى المَوَاسِمِ

(الأميني، ١٤٣٠، ج ٣: ٤)

أو هذا هو «عبدالمسيح الأنطاكي» صاحب «القصيدة العلوية» فى (٥٥٩٥) بيتاً منها:

للمُرْتَضَى رُبَيْةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ لَسدى أَهلُ اليقينِ تَنَاهَتْ فى تَعَاليمِهَا
كَذَا النَّصَارَى بِحُبِّ المُرْتَضَى شَعَفَتْ ألبَابِهَا وَشَدَّتْ فىهِ أَغَانِيهَا

(الأنطاكي، ١٤١١: ٧١٠)

و أيضاً «بولس سلامه»، صاحب «ملحمة عيد الغدير» فى (٣٠٨٥) بيتاً. مطلعها:

هَكَذَا صَهْرَ أَحْمَدَ يَضْفى نَبْلُهُ مِلىءِ سَرْحَةِ الدَّهْرِ فى

(سلامة، ١٤١٠: ٣٤٠)

والذى نلاحظه فى هذا المجال أنّ هناك الذين أيضاً استمدوا فى أشعارهم من مناقب أهل البيت (ع) و هم على ملّة المسيح. و من هؤلاء؛ جورج شكور (ملحمة الرسول (ص)، ملحمة الإمام على (ع) و ملحمة الإمام الحسين (ع)) و جورج زكى الحاج (قصيدة الحسين (ع))، ريمون قسيس (سيد الشهداء و العلويات) و ويكتورالك (قصائد فى الغدير و أهل البيت) و (و أنظر للتوسّع: هيفا، ١٤٢٦: ٩٥، ١٢٧، ٤٢٣).

و من كلّ ذلك يتبيّن لنا؛

(... وَكُنْتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

قَسِيْسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَأَيَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة «٥» / ٨٢)

و هذا هو العلامه، السيد محمد حسين فضل الله (رحمة الله عليه) يقول في الثقافة الشعرية لشاعرنا، جوزف الهاشم، هكذا:

أن يكتب شاعر مسيحيّ شعراً في أهل البيت النبوي الشريف ...

و أن تفتح عاطفته على المأساة في كربلاء لتمتد إلى المأساة في كربلاء الجديدة «قانا»، في شعر يبكي في أنشودة الفرح حيث تمتزج الذكرى بالبطولة روحاً و جهاداً، فتحسّ و كأنّ الشاعر يتحرّك في الحاضر كما لو كان في عمق مسيرة التاريخ. (الهاشم، ١٤٢٠: مقدّمة العلامة: ٥).

و قد أتضح لنا من خلال شعره أن ميوله نحو التشيع مبني على أساس الحبّ الصادق الناشء من المعرفة الأصيلة و العميقة المتجدّرة. و للعلامة فضل الله أيضاً:

و شاعرنا، الأستاذ جوزف الهاشم، هو في امتداده النسبي، هاشمي ... و هو في قصائد الرأفة التي تهزك في عليّ و الحسين و زينب(ع) و كربلاء و قانا، فتعيش معها آفاق السموّ الروحي و العبقرية المبدعة، و الشهادة- العنقوان، و الماضي الذي يمنح الحضارة حركية الإنسان في امتداد الزمن، في حيوية الروح و البطولة و العنقوان، بعيداً عن التعقيدات الطائفية القبلية .. (نفسه: ٨)

و أما شاعرنا، جوزف الهاشم، عاش طفولته في أحضان أسرة تنغني بانتمائها إلى أهل البيت (عليهم السلام) و تردّد قصصهم و فضائلهم بالفخر و الاعتزاز:

منذ أن كنت فتياً، كان محيطنا العائلي يتغني بانتسابه إلى أهل البيت، و جُلّ ما كان يستهويه في مجالس المفاخرة بالأصول، أن يستذكر الإمام علي بن أبي طالب، على أنه فارس الجهاد الأول و بطل امتشاق ذي الفقار. (نفسه: ١٠)

و أوّل حقيقة أخذ يبحث عنها في ريعان شبابه هي حقيقة أهل البيت (عليهم السلام):

و رحلت - و أنا على مقاعد الدراسة - أنمّي هذا الحسن البكر بالمطالعة، مترصداً للملمين جوانب شخصيته، التي ارتسمت في ذهني اليافع، كما ترسم صورة الأبطال في أذهان الأطفال. (نفسه)

و بعد أن استهوته شخصية الإمام(ع)، أخذ يتتبع في مدرسة أهل البيت(ع)

قائلاً:

من تعرف إلى شخصية الإمام على استهوته ... و من استهوته، أثرت فيه ...
و من أثرت فيه .. اقتدى بها ... و من اقتدى بها، أصلح نفسه ... و من أصلح
نفسه، تصالح مع الآخرين. (نفسه: ١١)

يطالع نهج البلاغة بالإعجاب و الحبّ و الشغف ليلتقى مع الإمام(ع) و يتقرب
منه؛ و من دنامنه، سوف يعيش مع أفكار الإمام و عقائده:

و من قرأ نهج البلاغة، أعجب بعلى ... و من أعجب به، أحبه ... و من أحبه،
تقرب منه ... و من تقرب منه ... التقى معه ... و من التقى معه، تلاقى مع سائر
الآديان و الناس ... (نفسه: ١١)

و يؤكد على دور أهل البيت(ع) في إرشاد الأمة و ما على الناس من حاجة
ماسة إلى احتذاء حذوهم ليكونوا على دقة و بصيرة في تحديد مصيرهم و حياتهم
إلى يوم يبعثون:

نحن في حاجة ملحة إلى تلمس دربه لنكرم بشريتنا به، و إلى استلهام
الروحانية التي فيه، لتحطيم الوثنية التي فينا، و نبذ عبادة آلهة الحجر، و آلهة
اللحم، و آلهة الذهب ...

النظام العالمي القديم الجديد، هو الذي يربط النفس البشرية بعلاقة حميمة
مع الله لتسمو في تطورها الارتقائي إلى تحصيل «السعادتين»، و هو الذي ناضل
من أجله الإمام ساعداً و لساناً و قدوة و استشهاداً، فإذا هو ثورة إنسانية و حاجة،
تحدّد غاية الإنسان جوهرأ و روحاً و قيماً و كياناً و كينونة، و تستمر امتداداً
حيوياً مع كلّ زمان و مكان، و قل: إلى يوم يبعثون. (نفسه: ١٢-١٤).

فها هو يبيّن سبب نزوعه إلى أهل البيت(ع) قائلاً مؤكداً على أن أهل
البيت(ع) بأنهم ليسوا مختصين بالمسلمين و الشيعة دون سواهم، بل إنهم إمام لكلّ
من يصبو إلى الفضائل الأخلاقية الغراء و يسير نحو الصراط المستقيم؛

و لَيْسَ وَقْفًا عَلَىٰ أُبْنَاءِ شِيعَتِهِ	لَيْسَ الْإِمَامُ فَتَى الْإِسْلَامِ وَحَدَّهُمْ
بِالْبِرِّ، بِالرَّفْقِ، بِالتَّقْوَى، بِخُلَّتِهِ	مَنْ كَانَ بِالشِّيمِ الْغَرَاءِ مُعْتَصِمًا
وَ بِالشُّمُوحِ، فَهَذَا مِنْ سَلَالَتِهِ	بِالنَّبْلِ، بِالْحَقِّ، بِالأَخْلَاقِ مَكْرَمَةً

لَا، لَسْتَ أَنْتَ إِمَامًا سَادَ شِيعَتَهُ أَنْتَ الْإِمَامُ لِكُلِّ الْخَلْقِ وَ النَّسَمِ

(نفسه: ٦٥)

و لعلّه اشتاق إلى أهل البيت(ع) لأنهم ما اشتاقوا سوى إلى الجهاد و
الاستشهاد:

وَكَأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ، مَا اشْتَأَقُوا سِوَى دَرَبِ الشَّهَادَةِ، وَالْجِهَادِ مَرَامُ

و من هنا يتضح لنا كاملاً أنّ سبب التزام الشاعر بمدرسة أهل البيت(ع) و
تعاليمهم يعود إلى عاملين: (أ) إنه يلتزم بفكرة أو عقيدة أو مدرسة تمتد جذورها
إلى شريعة الإسلام الحقيقي الذي جاء به الرسول الكريم(ص) ثم تجلّى فى سيرة
أهل البيت(ع) و هم عطية الهية لكل المسلمين، بل لكل البشرية.

(ب) إنّ الشاعر حرّر نفسه من كلّ عصبية قومية أو طائفية و راح ينحو نحو
السّلالة أو الإصالة التى تدعو العقول و العواطف و من كلّ عصبية و جمود يدعوها
إلى النزاهة و التضامن و الحقيقة و الجهاد و المقاومة.

و إذا سأل سائل عن سبب اختياره لمنهج أهل البيت(ع) يحدثنا عن طيب
دوحته و انتماءها إلى الهاشميين و هكذا يجرى فى عروق الشاعر الحبّ لأهل
البيت(ع) و الولاء لهم:

لَا تَسْأَلِي يَا ابْنَةَ الْإِسْلَامِ عَنْ قَلَمِي إِنْ رَاحَ يَشْدُو بِأَهْلِ الْبَيْتِ مِثْلَ قَمِي
الْهَاشِمِيُّ أَنَا، مِنْ طَيْبِ دَوْحَتِهِمْ دَمُ السَّلَالَةِ يَجْرِي فِي عُرُوقِ دَمِي

(نفسه: ٥٧)

ثمّ يستغيث من ثمّ بالإمام(ع) ليعود مرة أخرى إلى هذه الدنيا الدنية، و يملأ
تاريخ المسلمين بالعدل و الشجاعة و الكرامة و الطهارة و الرجاء بعد أن مُلأ فساداً
و خوفاً و جوراً و مكرأ و خيانة و قنوطاً؛ ثمّ يسرد ما حلّ بالمسلمين من التفرقة و
التخاذل و التهاون و يدعو الإمام ليكسر حواجز الخوف و الخنوع و الاعتداء
المسيطر، مثل ما فعل فى أبان تأريخ الإسلام. و يبلغ شاعرنا الذروة فى استشارة
العواطف حين يقارن بين حياة المسلمين فى القديم و ما حلّ بهم فى عصرنا
الراهن:

عُدْ يَا إِمَامُ، فَلِلتَّارِيخِ دَوْرَتُهُ وَالْأَحْرَفُ السُّودُ وَشَتَّ بِيضَ صَفْحَتِهِ

ذَا حُصْنٍ خَيْبَرَ، مِنْ بَعْدِ الْهَوَانِ عَلَاً
أَرْضُ الْقَدَاسَاتِ مَادَتْ مِنْ مَفَاسِدِهِ
يُحْصِنُ الظُّلْمَ وَالطُّغْيَانَ، مُفْتَرِساً
جَيْشُ الصَّحَابَةِ عَنْهُ ارْتَدَّ مُنْكَفِئاً
يَغْتَابُ زَنْدَكَ مُعْتَدِلاً بِقُوَّتِهِ
وَنَزْعَةَ الشَّرِّ ثَارَتْ فِي شِرَاسْتِهِ
طَهَارَةُ الْأَرْضِ، مَدْفُوعاً بِنَزْوَتِهِ
وَالانْقِسَامَاتُ بَاتَتْ مِنْ طَبِيعَتِهِ

(نفسه: ٥٢)

ثمَّ يتطرق إلى جوانب أخرى من حياة المسلمين التّعسة و يشير إلى أنّ المسلمين و الأعراب أشدّ احتياجاً اليوم باتّباع سنّة الإمام(ع) و خصاله الممتازة و الفريدة و يستعرض ما حلّ بالجنوب من الاعتداء و العدوان مشيراً إلى ردود فعل الأعراب من الاستسلام و الصمت، ثم أخذ يستدعى الإمام(ع) ليعود إلى الجنوب و يجنّد الجماهير للتضحية و الجهاد من أجل الهدف الأسمى؛ المقاومة و المكافحة ضدّ الظلم و الكيان الصهيوني و الدفاع عن الأراضي المحتلة؛

عَلَى اسْمِ حَيْدَرَةَ خَاضَ الْوَعَى أَسَدٌ
فِي التَّوَامِينِ صَهِيلٌ، وَالْجَنُوبُ صَدَى
عُدْيَا إِمَامٍ، فَإِنَّ السَّاحَ فِي ظَمَاءٍ
هُزَّ الْمُهَنْدُ، تَنَدَكَ الْحُصُونُ، أَمَاءٍ
مَازَالَ يَذْكُرُ ذَاكَ الْحِصْنَ صَوْلَتَهُ
وَبِيرَقُ النَّصْرِ مَعْقُودٌ بِلَيْدَتِهِ
لِصْرَخَةِ الصَّمْتِ، فِي دُنْيَا عُرُوبَتِهِ ...
لِذِي الْفَقَارِ، وَ أَجَجَ نَارَ وَمُضْتِهِ
تَبَرَّمَ السِّيفُ مَعْلُولاً بِهَيْدَتِهِ
بَشْرُ جَهَنَّمَ، وَأَصْقَلَ حَدَّ شَفْرَتِهِ

(نفسه: ٥٣-٥٤)

و أنت تجد في هذا كله، تقديم أفكاره في إطار التراث الديني لإثبات أصالته و ثقافته مع عاطفة الجوزف الصادقة و روحه اللبنانية- المسيحية، بل الشيعة المقاومة التي أحسن الترجمة و التعبير عنها في شعره الفصيح. و من هنا كنا لا نبعد إذا قلنا إن لبنان أخذت تعرف في عصرنا الراهن شاعراً مسيحياً آخر يسيل شعره فكرة و عقيدة. إنه، كما رأيت، يجيش شعره بسيل دفاق من العاطفة و الوجدان و العقيدة و المقاومة و قلما تحسّ فيه أنه مسيحي من حيث العقيدة و الدين، و إنما يبدو لك و كأنه شاعر مخلص شيعي صدق ما عاهد الله في المكافحة ضدّ البغي و الظلم، و هو كالبنيان المرصوص.

فترى بوضوح فى مثل هذه الأبيات، العناية الربانية التى منحها الله إياه. لقد استلهم الشاعر فى الأبيات التالية الصمود و المقاومة من شخصية الإمام(ع)، التى هى رمز للمسلم الحرّ الأبيّ:

هَلْ يَنْطَوِي دِينٌ وَأَنْتَ شَهِيدُهُ وَ لَهُ بِشْمَخَةٍ مَنْكَبِيكَ دَعَامٌ؟...
أَوْ لَسْتَ رَمَزاً لِلصُّمُودِ وَ صَرْحَةً لِلْحَقِّ؟ أَنْتَ الْمَوْعِدُ الْبَسَامُ...
هَبْنِي وَمِيضَكَ فِي الْجَنُوبِ مَقَاوِمًا لِأَلْمَوْتِ يَرِدْ عَنِّي، وَ لَا اسْتِسْلَامٌ

(نفسه: ٢٥)

ألهمت مأساة كربلاء نيران عاطفته حيث استوحى من مصائبها و استمدد من معانيها فى رسم مأساة كربلاء جديدة «فانا». و من هذا المنطلق، يتضح لنا مدى دور ملحمة كربلاء فى التاريخ و ما تترجم تلك الحماسة فى النفوس من الصمود و الجهاد و الرسالة فى عصرنا الراهن:

يَا كَرْبِلَائِي الْجُنُوبِ، سَكَبْتَهَا رُوحًا، يَحْتُ جُمُوحَهَا الْإِقْدَامُ...
يَا كَرْبِلَائِي الْجُنُوبِ، لَكَ الْمَدَى أَلْعُمُرُ لَا شَيْبٌ وَ لَا أَعْوَامُ
تَمْضِي... وَ شَلَالُ الشَّهَادَةِ هَادِرٌ حَتَّى اقْتَفَتْ آثَارَهَا الْأَقْدَامُ

(نفسه: ٢٦ - ٢٧)

هذه الأبيات تذكرنا «نزار قباني» و قصيدته «سميتك الجنوب» حيث أنشد و هو يجمع فى شعره بين الأدب الشيعي و أدب المقاومة:

سَمَّيْتُكَ الْجُنُوبِ / يَا لَا بَسَاءَ بَاءَةَ الْحُسَيْنِ / وَ شَمْسِ كَرْبِلَاءِ ... (قباني،

١٩٨٦: ٧٥)

ثم يشكو شاعرنا، من أمة تتخبط فى ظلمات و ظنون و تيه و اضطراب و فقر ... التبس فيها الحلال بالحرام، و الحق بالباطل، و الصحيح بالزائف و يستدعى الإمام(ع) ليمنح هذه الأمة، العدالة و اليقظة و اليقين و الثبات و النور و الرجاء و يصلح ما فسد من الأخلاق و السياسة و الحكم، كما عمل فى إصلاح الأمة أيام خلافته:

قُمْ يَا إِمَامٌ، فَإِنَّ اللَّيْلَ مُعْتَكِرٌ وَ «الْحِصْنُ» مُرْتَفِعٌ وَ الْأَفُقُ مُضْطَرِبٌ...
قُمْ يَا إِمَامٌ، وَ سِنَّ الْعَدْلِ فِي وَطَنِ اللَّهُ أَعْلَمُ... أَيْنَ الرَّأْسُ وَ الذَّنْبُ...

رَجَوْتُكَ ... اَكْتُبْ لَوَالِيهِ، وَعَامِلِهِ
مَا جَاعَ مَنَافِقِيرٌ، طَوَّعَ سَاعِدَهُ
مَالُ الْيَتَامَى حَرَامٌ، كَيْفَ يُسْتَلَبُ؟
إِلَّا بِمَا مُتَّعَتْ أَشْدَاقُ مَنْ نَهَبُوا
لَأَنَّ «مَنْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا» ...

(نفسه: ٣٩ و ٤١)

و من الملاحظ أنّ الشاعر يدعو فى هذه الأبيات، الجماهير إلى تبعية أهل البيت (ع) و اللّحوق بهم؛ لأنّهم حسب ما وصفهم النّبى (ص)، سفينة نجاة من ركبتها نجا و من تخلّف عنها غرق، كما أكّد الشاعر على أنّ ولاء الأئمة و تبعيتهم تؤدّى فى نهاية المطاف إلى الصّواب و الحقيقة و الرّشاد:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَسْرَاكُمُ بِقُدُوتِكُمْ
تَوَسَّلُوا خَطْوَهُمْ فِي الْعَالَمِينَ هُدًى
مَنْ يَسْتَشْفِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ يَغْتَمِ
لَا يَسْتَقِيمُ لَكُمْ حَقٌّ بغيرِهِمْ

(نفسه: ٦٧)

بناءً على ما مرّ نجد أنّه يهدف من استدعاء هذه الشّخصيات الدّينية، التّأكيد على دور التّراث الدّينى فى إحياء المقاومة و المكافحة، ثمّ إثبات أصالته الفرديّة و الشّعبيّة و بعده الدّعوة إلى الرّجاء و الأمل رغم احتلال الأراضى الإسلاميّة من قبل الكيان الصّهيونى.

١-٢- استدعاء التراث التّاريخى و الحنين إلى الشّعب العربى و الوطن

اللّبنانى و الماضى المجد

فإذا كان «حافظ إبراهيم» سمّى بشاعر «القومية العربية» و «الوطنية المصرية» حيث استشعر فى أعماقه محنة الأمة العربية و الشّعب المصرى بالاستعمار و الاستبداد و ماينزلونهم بهما من ضروت العسف و الظلم و التّنكيل الشّديد (أنظر: ضيف، ١٩٥٩ «تاريخ المقدّمة»: ١٣ / الفاخورى، ١٤٢٢: ١٤٣). فهذا هو شاعرنا، جوزف الهاشم، يحسّ فى أعماق كيانه محنة الشّعب العربى عامّة و الوطنيّة اللّبنانية خاصّة، محاولاً تجسيد آلام الشّعب الفلسطينيّ و اللّبنانى النّاجمة من الاحتلال الإسرائيلىّ و الصّمت العربى. إنّهُ ملأ روحه بحبّ وطنه فى عاطفة صادقة و قّادة و رفع صوته صارخاً من أعماق كيانه فى وجه المعتدى الغاصب داعياً أبناء أمته إلى الحرّية و النّضال و المكافحة ضدّ المحتلّين الاسرائيليين.

كما نشعر بملأ كياننا حبَّ الشاعر للأمة الإسلامية من خلال الأبيات التالية. و لا يغيب عن بال الشاعر أن يندد بالتخاذل و المساومة و الذل و الهوان أمام المعتدين مشيراً إلى أمجاد الأمة الإسلامية و مناقبها من ذى قبل:

بَيْنِي وَ بَيْنَكَ، هَمْسَهُ وَ كَلَامٌ يَا أُمَّةً ضَاقَتْ بِهَا الْأَيَّامُ
سَكَنْتَ يَدَاها وَ اسْتَكَانَ حُسَامُها وَ الْمَجْدُ، أَيْنَ الْمَجْدُ؟ كَيْفَ يَنَامُ؟
كَمْ هَامَةٌ خَرَّتْ عَلَيَّ أَقْدَامُها عَبْرَ الزَّمَانِ، وَ كَمْ تَهَاوَتْ هَامُ!
مَا بَا لُها رَقَدَتْ عَلَيَّ حُقَبُ، هَوَى أَسْيَادُها، وَ اسْتَفْجَلَ الْإِجْرَامُ
فَتَقَهَّرَتْ، يَا وَيْلَها، مِنْ أُمَّةٍ صَرَعَتْ أُمَّتَها، وَ غَابَ إِمَامُ

(الهاشم، ١٤٢٠: ١٧)

(المفردات: الهمسة: الكلام الخفى الذى لا يكاد يفهم / استكان: ضعف و كلّ / الحسام: السيف القاطع. و حُسام السيف: طرفه الذى يضرب به / رَقَدَ: نام / الحُقَب: ج الحُقْبَة: المدة التى لاوقت لها / استفحل: (الأمر): تفاقم و اشتد).

و فى هنا نجده يشيد بمكانة لبنان التاريخية و يفخر بأجادهما القديمة و ماثرها المسطرة فى صميم التاريخ واصفاً ما كان بها من قدرة و مجد؛

وَ الْمَجْدُ يَا لُبْنَانَ، مَجْدَكَ وَ الْعَلَى وَ عَلَى مَسَارَاتِ السَّلَامِ، سَلَامٌ

(المصدر السابق: ٢٨)

اللبنان، هذه، بلند يسود على تاريخها العزة و الكرامة رغم ما تحمّل، ما تحمّل، من المحن و المشقّات و الصّعوب أمام التيارات الوافدة، كما أنّها كانت من البلاد التى تميّزت بالتعايش و التعاون و الوحدة رغم تنوعها الدينى و الثقافى، ثمّ يندد الشاعر بما يلفق الأعداء فى سلسلة من الأكاذيب حول التمزق القومية و الطائفية فى لبنان مشيراً إلى أنّها كانت من مهابط الوحي الإلهى و محطة الأديان، و أخيراً يؤكّد على شجاعتها و عظمتها فى الماضى و الحاضر؛

لُبْنَانُ يَا بَلَدًا عَزَّتْ مَآثِرُهُ هَذِي الْمَآثِرُ، كَانَتْ سَرْمَخْنَتَهُ
فِي ظِلِّهِ تَرْتَعُ الْأُدْيَانُ، مَا اكْتَمَلَتْ أَرْكَانُ مَنْعَتِهِ إِلَّا بِوَحْدَتِهِ
عَلَى مَحْيَاهُ لَاحَتْ أَحْمَدِيَّتُهُ وَ فِى الْجَبِينِ ضُحِيٌّ مِنْ عَيْسَوِيَّتِهِ
قَوْمٌ مِنْ رَحِمِ الْبَارُودِ مُتَنْفِضًا فَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ وَ أَخْشَعْ تَحْتَ أَرْزَتِهِ

(نفسه: ٥٤)

(المفردات: لُفَّق: (الكلام): زخرفه و موَّهه بالباطل / الأرز: شجر عظيم صلب من الفصيلة الصنوبرية دائم الخضرة، يعلو كثيراً، تصنع منه السفن و أشهر أنواعه؛ أرز «لبنان»، و هو شعارله).

كما نراه يحمل على السلطنة الإسرائيلية التى كانت تتحكّم فى فلسطين و جنوب لبنان و يهددها، بل يوعدها بالموت و الهلكة و الفشل و الانهيار و يبرهن لها بمآثر لبنان فى عبر التواريخ و الأساطير و أنشأ منها ملحمة تمتاز بالفخر و الطموح:

أَيُّهَا الْغَاصِبُ الْمَكَابِرُ، مَهْلًا حَدُّكَ الْخُتْفُ، فَاسْمَعِ الْبُرْهَانَ:
هَذِهِ الْأَرْضُ، دُونَهَا خَرَّتِ الْأَرْضُ تَهْزُ الْعُرُوشُ وَ التَّجَانَا
أَرْضٌ قَدُمُوسَ يَحْمِلُ الشَّمْسَ لِلْغَرْبِ حُرُوفًا وَ يَرْفَعُ الصَّوْلَجَانَ
أَرْضٌ دَيْدُونُ، يَا إِلَهَةَ فَتْحِ وَ الْهَنْبِيْعُلُ رَوْضِ الرُّومَانَا

(نفسه: ٧١)

(المفردات: القَدْمُوسُ: القصة من أصل أسطوري يونانى، قد جاء فى أساطيرهم أنه لما اختطف «روش»، كبير الآلهة، أو رب بنت ملك صيدون، لحق بها قدموس إلى بلاد الأغارقة يسترد أخته. و فى «البيوسى» قتل تينياً كان قد فتك باثنين من رجاله، و بأمر إلهة الحكمة بذر أضراسه فى الأرض، فأنبتت رجالاً شاكى السلاح اقتتلوا إلا خمسة أصبحوا فى ما بعد نبلاء ثيبة، أولى مدن مئة و إحدى سوف بينها قدموس و أوروبّ هى التى أعطت الغرب اسمها كما أعطاه قدموس حروف الهجاء أداة المعرفة (ر. ك: الفاخورى، ١٤٢٢ : ٦٧٥). يحمل الشمس للغرب حروفاً؛ إشارة إلى الحروف الأبجدية التى اكتشفها الفينيقيون و نشرها فى العالم. و تقول أسطورة قدموس إنه حمل الأبجدية إلى أوروبا / ديدون: أوأليسا، ابنة صور، أسست أمبراطورية قرطاجنة و هنيبعل: قائد قرطاجى هدد عرش روما، و استمرّ يهاجمها على الأرض الإيطالية خمس عشرة سنة).

وفى مثل هذه المجالات يشبه بشاعرنا سميح القاسم حيث يصرّح فى قصيدته «ثورة معنى الرابطة» بأمجاد المسلمين و مفاخرهم داعياً إلى الأخذ بشأ فلسطين المذبوحة:

يَا أُمَّتِي أَحْكِي لَهُمْ عَن مَّجْدِكَ الْمَاضِي وَ اغْرِيهِمْ بِشَارِكِ (القاسم
٢١٥:١٩٨٧)

و فى هنا يخاطب الجنوب بلبنان قائلاً؛ أنت أرض الكرامة، تطهر الأجسام و الأرواح، أنت فصل الطيب و الريح فقبحاً لإسرائيل التى أغارت على جنوبك فى ذلك الشهر (نيسان)، أنت أرض التوحيد و الإيمان و تلك الآية التى توحد و تجمع الأديان و المذاهب، المسلم و المسيحي يعترفان بفضلك كلاهما، يالبنان! أنت ملأت الدنيا و شغلت الناس بك، أنت شجاع بطل لاتخاف من العدو و أصحاب القدرة، مهما قويت شوكتهم، تقتمح الأهوال و الصعاب دونما خوف و ذعر. لك تاريخ مجيد و عريق تأصلت جذوره فى عز و كرامة:

يَا تَرَابَ الْجَنُوبِ يَا مَنْتَ الْعِزِّ، يُخُورًا، يُطِيبُ الْأَبْدَانَا ...
أَنْتَ نَيْسَانَ وَالشَّدَا، وَ رَبِيعَ، قَبِّحَ اللَّهُ ذَلِكَ «النَيْسَانَا»
أَنْتَ وَحَى الْمُوحِدِينَ وَ آيُ تَرَابُ الصَّدَعِ، تَصْهَرُ الْأَدْيَانَا
وَ صَلَاةً عَلَى اسْمِ بُنْيَانَ تَتَلَّى وَ صَلِيبُ يَجُودُ الْقُرْآنَا
هُوَ بُنْيَانُ، شَاغِلُ الْكُونِ وَ النَّاسِ شَقِي، لَا يَرْهَبُ السُّلْطَانَا
يَرْكَبُ الرِّيحَ، يَقْطِفُ النُّجْمَ، يَلْهُو يَقْحُمُ اللَّيْلَ، ضَاكِكًا غَضْبَانَا
هُوَ صِنُ الزَّمَانِ، تَوَامٍ عُمُرٍ إِنْ تَرَخَى الزَّمَانُ، أَوْ لَانَ، لَأَنَا

(نفسه: ٧٨ - ٧٩)

(المفردات: «النيسانا»: فى شهر «نيسان» أغارت إسرائيل على جنوب لبنان / تراب: يصلح / تصهر: صهر الشيء بالنار و نحوها: أذابه / يقحم: فى الأمر: يدخل فيه بغير روية / الصنو: النظير و المثل و الأخ الشقيق).

و فى هنا يقول و هو يخاطب «صيда» قائلاً؛ إن صيدون، هذه، تمرّد على الاستبداد الفارسى و استعضوا أمامه حيث حاصرها الملك الفارسى؛ إنهم أقفلوا أبواب مدينتهم و أحرقوها بمن فيهم حتى لا يسيطر العدو عليها، هى مدينة عُرفت بالعزة و الصمود و الشرف؛ إذ تحرق نفسها خوفاً من أن تذلل و تُمسّ، و فيك بحر هو سيّد البحار و أعزّها فى مواجهة الطغاة:

تَلِكْ صَيْدُونُ، تَجِبُهُ الْفُرْسُ، تَهْوِي رَقِصَةَ الْمَوْتِ، تُشْعَلُ الْمِيدَانَا

تَعْشِقُ النَّارَ، تَأْتَفُ الْعَارَ، تَمْضِي
لَا رُضُوحٌ، وَلَنْ تَمُوتَ هَوَانًا
نُصِبَتْ «سَيِّدَةَ الْمَحِيطِ»، خَفِيرًا
يَلْجُمُ الْيَمَّ، يَزْجُرُ الْعُصْيَانَا
حِينَ مَسَّتْ أَقْدَامُهَا الْمَاءَ، رَاحَتْ
جِبْهَةُ الْبَحْرِ تَلْتَمُ الشُّطَّانَا

(نفسه: ٧٢)

(المفردات: تلك صيدون، تجبه الفرس: إشارة إلى تمرّد صيدا على الاستبداد الفارسي، و عندما حاصرها الملك أرتخششتا، أقفل الصيداويون أبواب مدينتهم و أحرقوا بمن فىها حتى لا تقع فى أيدي عدوهم/ صيدا نصبت سيده البحار، و كذلك صور).

و هكذا يستمرّ فى ذكر فضائل «صور» باعتبارها مدينة الصمود و المقاومة و يستعرض ما جرى لها فى التاريخ فاتسمت بالشجاعة و المقاومة و ها هى الآن تقاوم أمام الاحتلال الصهيونى مضرحة بدماء الشهداء الزكية:

أنت يا صور، قلعة الدهر، نسرو
أحيرام يرفع الجدراننا
دونك الزاحف الأشورى يهوى
والأساطيل، تتخيم الحيتاننا
جلجلت بابل، فثار شموخ
فى حصار التاريخ، حتى استكانا
وجموح «القرنين» أغياه سور
يوم صور تمردت عنفواننا
إرجوانية الصباغ تحلت
عشروت به، فزين باننا
حسب قانا أن تصبغ الأرض بالقانى
رداء يستلطف الأرجواننا

(نفسه: ٧٣-٧٤)

(المفردات: دونك الزاحف الأشورى: حاصر الأشوريون بأسطولهم صور البحرية فتحطم عند أول معركة مع الأسطول الصورى/ جلجت بابل ... : حاصر نبوخذ نصر البابلى - الكلدانى، مدينة صور و قد استطاعت أن تقام الحصار ثلاث عشرة سنة/ جموح القرنين ...: إشارة إلى الحصار الذى ضربه الإسكندر ذوالقرنين على صور/ أرجوانية ...: اشتهرت صور باكتشاف الصباغ الأرجوانى، و تذكر الأساطير أن أول ثوب أرجوانى صورى قدمه هرقل الفينيقى إلى الإلهة عشروت/ قانا: البلدة اللبنانية، التى ارتكب الإسرائيليون فيها مجزرة أودت بحياة

الأطفال و النساء و العجزة، فى إطار حملة الغزو التى اجتاحت الجنوب فى نيسان ١٩٩٦م، و هذه الحملة أطلق عليها الإسرائيليون اسم «عناقيد الغضب» و فى هذا المقطع من القصيدة نجده يتغنى بلبنان و الدماء الحسينية التى تجرى فى عروقه، و يعرب عن إستيائه لما حلّ ببلده من التهاون العربى، بل بالأحرى، من النكبة العربية، مستنكراً موقف الحكومات العربية من أحداث جنوب لبنان مشيراً إلى دور المؤامرات فى تلك التخاذلات و التهاونات التى أدت السلطات العربية إلى اتخاذ موقف سلبى حيال أحداث الفلسطينيين و اللبنان؛

يَا جُنُوباً فَدَتِكَ أُمَّةٌ عُرَبٌ كُنْتُ فِي رَفْعِ مَجْدِهَا الْقُرْبَانَا
مَلْحَمَى الْجِهَادِ، تَسْكُبُ رُوحاً كَرْبَلَايَةَ تَهْزُ الزَّمَانَا
اسْمُهُمْ تَرْفَعُ اللُّوَاءَ خَضِيباً يَا شَقِيقاً، تَفْقَدُ الْأَخْوَانَا
بَعْضُهُمْ تَاهَ فِي غِيَاهِبِ حُلْمٍ يَعْصِبُ الذَّيْلَ، يَقْتَنِي الْعُمَيَانَا
بَعْضُهُمْ يَنْتَشِي بِخَمْرِ الدَّوَالِي وَ «الْعَنَاقِيدُ» تَبْهَرُ السَّكْرَانَا

(المفردات: تاه: ضلّ و ذهب متحيراً/ الغياهب: ج الغيهب: الظلمة و الغفلة/ يعصب: يقبض/ عناقيد الغضب: الاسم الذى أطلقته إسرائيل فى اجتياحها جنوب لبنان نيسان ١٩٩٥م، و كانت مجزرة بلدة «قانا»).

الأعمال الوحشية التى ترتكبها أيدى الصّهيانة الأئيمة بين فينة و أخرى أثار موجة الغضب لدى الشاعر وجعلها و كأنها بركان ثائر أو أمواج مضطربة متلاطمة من البحر الهائج تجتاح و تجرف كل ما يعترضه و هكذا يجب أن يكون كل مسلم مؤمن بقضيته و عقيدته؛

كَيْفَ تَرْضَى، وَ يُسْتَبَاحُ حَرَامٌ وَ دَخِيلٌ يَسْتَوِطِنُ الْأَوْطَانَا
مَنْ يَرَى «الْقُدُسَ» وَ «الْقِيَامَةَ» وَ «الْإِسْرَاءَ» شَرَعاً مُطَوَّباً لِسَوَانَا؟
مَنْ يَرَى الْمَسْجِدَ الشَّرِيفَ «كَنِيساً» وَ الطَّوَاغِيَتِ تَعَقِفُ الصُّلْبَانَا؟
زَلْزَلِ الْبَيْدِ يَا جَنُوبُ بِهُجُوجِ غَاصَفَاتٍ، وَ فَجَّرَ الطُّوفَانَا
أَفْرَدَتِكَ الْأَيَّامُ فِي أُمَّةِ الْعُرَبِ وَحِيداً يَتَأَمُّ «الْجَوْلَانَا»
لَا تَبَالِي فَنَى الشَّامِ زَيْبِرُ هَيْبَةُ اللَّيْلِ تَقْمَعُ الطُّغْيَانَا

(المفردات: القيامة: كنيسة القيامة فى القدس / الإسراء: إسراء النبى من المسجد الحرام فى مكة إلى المسجد الأقصى فى القدس / الكنيس: معبد يهودى / تعقف: انعقف الشىء: انحنى و التوى / الهوج: ج الهوجاء: من الرياح: المتداركة الهبوب كأن بها هوجاً / يتائم: التوءم: المولود مع غيره فى بطن واحد / الجولان: مدينة فى جنوب لبنان).

إنه فى هنا يشبهه بشاعرنا، احمد مطر، حيث صرخ من تخاذل الحكام و الهوان تجاه قضية اللبنا و الفلستين (أنظر: سعدون زاده، ١٣٨٨: ٤٢)؛
صَفَتِ النَّيَّةُ بِاللَّبْنَانِ / صَفَّتِ النَّيَّةُ / لَمْ نُهْمَلِكِ وَ لَكِنْ كُنَّا ... / فَتَهَانِينَا يَا لِبْنَانَ /
جَامِعَةَ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ ... (مطر، ١٩٨٤، ج ٣: ٤٥).

يتحدث شاعرنا أخيراً عن الأمل و الرجاء أيضاً كما يندد بالتخاذل و التهانون أمام العدو الصهيونى و وجوده ثقة كله بالأبطال و المجاهدين الذين يذودون عن حياض الوطن أمام العدو الغاصب. الأمل، فى رأيه، مازال حياً عند هذا الشعب الذى لا يؤمن بمسارات السلام و التفاوض و يناضل مناضلة مستميتة ضد الاحتلال الأجنبى:

وَ زَرَعْتَ أَرْضَكَ بِالْجِرَاحِ فَأَزْهَرَتْ وَ إِذَا حَطَّوْتَ تَفَتَّحَتْ أَكْمَامُ
وَ الْمَجْدُ يَا لِبْنَانَ، مَجْدِكَ وَ الْعَلَى وَ عَلَى مَسَارَاتِ السَّلَامِ، سَلَامٌ

(الهاشم، ١٤٢٠: ٢٨)

و نراه يرسم لمستقبل لبنان بنضال أبطالها و أحرارها غداً مشرقاً و مستقبلاً زاهراً:

جُرْحُ الْجُنُوبِ نَجِيعٌ وَ التُّرَابُ دَمٌ وَالْجُرْحُ إِنْ يُرَوْ بِالْتَّحْرِيرِ يَلْتَمِمْ
وَ تحقيق هذا المستقبل و التمام هذه الجروح لا يتأتى إلا فى مسير الاستشهاد و الجهاد و النضال أمام الطغاة و المحتلين:

حَطَّمِ الرَّمْسَ وَ اخْلَعْ الْأَكْفَانَ لَا يَمُوتُ الشَّهِيدُ فِي عُرْسِ قَانَا
طَرَّبِ الصَّوْتِ فَالشَّهَادَةُ بَعَثٌ وَ حَيَاةٌ تَسْتَقِرُّ الْجُثْمَانَا
وَ امْتَشِقْ مِنْ عِظَامِ قَبْرِكَ سَيْفًا ثَائِرِ النَّصْلِ يَرْدَعُ الْعُدُونَا

(نفسه: ٧١)

إنَّ ما مرَّ معنا، يؤكدُ إلى أنَّ الشَّاعر، يقصد من توظيف التَّراث التَّاريخيِّ و ما ينطوى عليه من أمجاد و مفاخر، رمزاً لأهميَّة الأصاله التَّاريخيَّة و الثَّقافيَّة في قضية وطنه المحتلِّ أمام العدوِّ الَّذي شرَّد المسلمين من أوطانهم.

١-٣. كشف القناع عن وجه العدوِّ الصَّهيونيِّ

إنَّ الكيان الصَّهيونيِّ في شعر جوزف الهاشم، هو ذلك الدَّولة الَّتى تشكَّل خطراً على السَّلام العالميِّ؛ سياستها سياسة التَّوسُّع و التَّحكُّم و التَّكاثُر و الاعتداء، قد شرَّد الشَّعب الفلسطينيِّ من أراضى آباءه و أجداده و قد احتلَّ لبنان بهجوم غاشم غادر دون الاهتمام بالمسائل الإنسانيَّة و الاتِّفاقيات الدَّوليَّة، سريع البطش بالأطفال و الأبرياء و الشَّعب العزل، قد حشد قواته في البحر و الجوّ و هويتهرب من مواجهة الأبطال في ساحة الحرب؛ فالشَّاعر يخاطب هذا العدوِّ الغاصب المغترف و يهدِّده بالموت و الهلاك قائلاً: هل تعرف مجد هذه الأُمَّة الَّتى خرَّ الأعظم و الملوك أمامها ساجدين خاضعين:

أَيُّهَا الْغَاصِبُ الْمَكَابِرُ مَهَلًا حَدُّكَ الْحَتْفُ فَاسْمَعْ الْبُرْهَانًا
هَذِهِ الْأَرْضُ دُونَهَا خَرَّتِ الْأَرْضُ تَهْزُ الْعُرُوشُ وَ التَّيْجَانَا

(نفسه: ٧١)

هذه الدَّولة يحكم الشَّيطان على مصيرها؛ لأنَّها لا تفكِّر إلاَّ بسفك الدماء و قتل الأبرياء و لاتزال غير مكترث بالمثل الدَّينيَّة و الإنسانيَّة و الأخلاقيَّة و لبئس المصير:

أَرْضَ صَهْيُونِ، يَا بِلَادَ دِمَاءِ حَكَّمْتَ فِي مَصِيرِهَا الشَّيْطَانَ
تَقْتُلُ الْأَنْبِيَاءَ، تَغْتَالُ يَهُوَهَ، تُنْكِرُ اللَّهَ، تَذَبِّحُ الْإِنْسَانَ
دَأْبُهَا الصَّلْبُ، هَلْ تَمَثَّلْتَ عَيْسَى نَاصِرِيًّا مُعَلَّقًا عَرِيَانًا

(نفسه: ٧٥)

و يخاطب الشَّاعر المسيحي الرَّسول (ص) و كأنه انسان مسلم معتذراً إِيَّاه مشيراً إلى ما أوصى به النَّبيُّ الأكرم (ص) في رعاية الجار قائلاً: عفواً يا رسول الله إذا كان الجيران مثل هذا الجار (العدوِّ الصَّهيونيِّ) الَّذي يقتل الأطفال و الأبرياء فلا

يستحقون منا احتراماً بل نقوم بلعنهم لعناً أبدياً مخزياً؛ ذلك لأنهم بسبب هذه الجرائم الشنيعة البشعة لم يعودوا صالحين لوصاياك الثمينة:

أين ذاك الجبار سموه جاراً
عفو طه فلنلعن الجيراناً
جار يستفرد الطفولة بالنهش
ويروى افتراسه الظماناً

(نفسه: ٧٤)

هذا الجبان الذى استولى عليه الرعب والخوف والقلق آثر أن يشن الحرب على لبنان بحراً وجواً ليريق دماء الأبرياء بهذا الطريق هارباً من مواجهة الأبطال والمجاهدين فى ساحة الحرب:

إنه الفدأ ليت ينزل ساحاً
يتصدى يُنازل الشجعاناً
فر فى لجة البحار كما الجزر
خسيساً والموج يطوى الجباناً
واستظل الغمام يُمطر سماً
يرتدى الأفق، يتقى الفرساناً

(نفسه: ٧٤-٧٥)

فقضية السلام لا تسمن ولا تغنى من جوع إذا الصهاينة يمكرون و يخذعون:

هم اليهود، وما نفع «المسار» إذا
سألتمهم عذروا، هادنتهم وتبوا

(نفسه: ٤٠)

و هكذا يكشف، شاعرنا، القناع عن وجه الكيان الصهيونى.

النتيجة

بناءً على التفاصيل التى طرحتها، نستشف من خلالها، هذه التكات التالية:

١. الجمع بين الالتزام الدينى بحب آل البيت (ع) و بين الالتزام الوطنى و القومى، ثم التنديد بالغفلة و الخنوع و الصمت فى ساحة المكافحة أمام العدو الصهيونى، و الدعوة إلى الحرية و الرجاء و اليقظة و الوحدة ضد الاحتلال، تعدد أشهر و أبرز موضوعات جوزف الهاشم الشعرية فى حقل أدب المقاومة.

٢. أهل البيت (ع) هم رموز المقاومة الإسلامية فى شعره و لهم مكانة شامخة فى آراء شاعرنا المسيحى، حيث يخاطبهم و يستدعيهم أكثر من مرة لتحطيم الوثنيات الجديدة التى استهوت الأمة الإسلامية و لعله يحاول ليهتديهم فى الظلماء

و القنوط إلى مصادر الجهاد و الصمود و الشهادة و النور و الرجاء لكسب العزة و الخلود.

٣. رغم انتماء الشاعر إلى الديانة المسيحية، لكننا نجد أن التراث الديني - الشيعي، يحتل حيزاً كبيراً في أشعاره. و من هذا المنطلق، يبدو أنه يهدف من استخدام الرموز الدينية التي تجلت في ضوء الشخصيات الشيعية، إلى إثبات أصالته الدينية و الحفاظ على هويته الثقافية رغم هيمنة العدو الصهيوني على الأوضاع الثقافية و الهجمات التي يشنها على الدين و الثقافة.

٤. إن الشاعر أخذ في شعره المقاوم يستحضر قسماً كبيراً من التراث التاريخي للوطن اللبناني و الفلسطيني و ليس ذلك إلاّ تحدياً للكيان الصهيوني و ادعائه الباطل للأوطان الإسلامية استناداً إلى افتراءات الدينية و التاريخية.

٥. إنه يبذل الجهد في شعره لأن يكشف القناع عن وجه الكيان الصهيوني الحقيقي و يعطي الشعوب العربية و الإسلامية، الوعي و اليقظة أمام مخططات العدو.

٦. شعره في أدب المقاومة يصور روحه و نفسيته و عقيدته إزاء قضية الاحتلال في لبنان و فلسطين؛ كلماته تعبّر عن الأسى و الحزن و الحسرة تجاه مأساة الاحتلال كما راحت توقظ الضمائر النائمة و القادة المتآمرة و المرتزقة فهو يصرخ بأعلى صوته و من أعماق قلبه و كيانه. و أضف إلى ذلك، أن شعره يعبر عن عاطفة صادقة متوقّدة بحب آل الرسول (ع) و نفس تؤمن بكرامتهم و نبيلهم و مناقبهم و حاجة البشرية في عصرنا الراهن إلى اتباع منهجهم و تعاليمهم.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. الأمينى النجفى، عبدالحسين أحمد (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)؛ الغدير فى الكتاب و السنة و الأدب، الطبعة الخامسة، بيروت، دارالكتاب العربى.
٣. الأنطاكي، عبدالمسيح (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)؛ ملحمة الإمام على (ع)، بيروت، مؤسسة الأعلمی.
٤. سعدون زاده، جواد (١٣٨٨ هـ ش)؛ مظاهر أدب المقاومة فى شعر أحمد مطر، نشریه ادبیات پایداری، دانشکده ادبیات دانشگاه شهید باهنر کرمان، سال اول، شماره ١ اول.

٥. سلامه، بولس (١٤١٠ هـ ق - ١٩٩٠ م)؛ عيد الغدير، نشر المؤسسة الثقافية لهيئة أنصار الحسين (ع).
٦. سياحي، صادق (١٣٨٢ هـ ش)؛ الأدب الملتزم بحب آل البيت (ع)، الطبعة الأولى، طهران، سمت.
٧. القاسم، سميح (١٩٨٧)؛ ديوان سميح القاسم، بيروت، دار العودة.
٨. الفاخوري، حنا (١٤٢٢ هـ ق - ١٣٨٠ هـ ش)؛ الجامع فى تاريخ الأدب العربى (الأدب الحديث) الطبعة الأولى، قم، ذوى القربى.
٩. قبانى، نزار (١٩٨٤ م)؛ الأعمال الشعرية الكاملة، طبعة الرابعة، بيروت، منشورات نزار قبانى.
١٠. مطر، احمد (١٩٨٤ م)؛ لاقتات، الكويت.
١١. الهاشم، جوزف (١٤٢٠ هـ ق ١٩٩٩ م)؛ علويات: قصائد من وحى الإمام على (ع)، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
١٢. هيفا، راجى أنور (١٤٢٤ هـ ٢٠٠٥ م)؛ الإمام على (ع) فى الفكر المسيحي المعاصر، الطبعة الأولى، لبنان، دارالعلوم.
١٣. الصّحف والانترنت:
١٤. پایگاه خبری حوزه ی هنری سازمان تبلیغات اسلامی: www.hozehonari.com
١٥. روزنامه كيهان، شنبه ٢٠ آذر ١٣٨٩ هـ ش، شماره، ١٩٨١٢.
١٦. سازمان فرهنگ و ارتباطات اسلامی: www.icro.ir
١٧. صحيفة البناء، اللّبنان، السّنة الثانية / الثالثاء، ٢٨ كانون الأول ٢٠١٠ م، العدد ٤٩٢.
١٨. _____، السّنة الثانية / الإثنين، ٢٣ آب ٢٠١٠ م، العدد ٣٩٠.
١٩. صحيفة الحياة الجديدة، اللّبنان، الأربعاء، ٢٤ / ١١ / ٢٠١٠ م، العدد ٥٤٠٨.
٢٠. صحيفة الديوان، اللّبنان، السّنة الخامسة عشرة، ٢٤ / ١١ / ٢٠١٠ م، العدد ٥٣٣٧.